بداية المغامرات الكينية

استيقظت باكرًا وكلّي حماسة لمغامرة ركوب الخيل وسط الأدغال.

و تأهبت لممارسة هوايتي المفضّلة، و لكن هذه المرّة لن يكون ركوب خيل في أرض منبسطة لا حيوانات متوحّشة فيها، بل وسط الغابة المحمية.

كان في انتظارنا في الحديقة الغنّاء مجموعة أحصنة برفقة خيّالين و هما مرشدان سياحيان، سألانا هل أنتم مستعدّون لخوض سفاري ركوب الخيل؟ فجاء الجواب طبعًا.

وهل أنتم محترفو ركوب خيل؟ الكل ردّ بل مبتدئون، لا أعرف لمَ قررت أنا و الآخرون أن ندّعي ذلك، ربما لنضمن أن يكون هذان الرجلان متأهبين لأي طارئ قد يحدث لنا.

بدأت المغامرة و الأحصنة تتمايل برفق كأنها شعرت بخوفنا من المجهول.

لعشر دقائق بدا كل شيء عاديًا إلى أن اخترقنا بوابة كتب عليها wildlife conservancy سمعت خرير نهر، حسنًا قلت صحيح عبرت النهر السنة الماضية بسيارة رباعية الدفع حين كنت في اسكوتلندا، و لكن كان يمكن تصحيح الخطأ، بينما هنا أركب حصانًا و إذا لم أعرف كيف أسيطر عليه لن ينفعني الندم.

بيد أن خوفي لم يكن في محله، فالحصان كان مدرّبًا و يبدو أنه اعتاد هذا النوع من المغامرات و يعرف كيف يحمي فارسه من الانزلاق.

مرّ عبور النهر بسلام و راح الحصان يصعد دروبًا وعرة تغطيها الأشجار العملاقة التي ألزمتني الانحناء كي لا أزعج غصونها المرتخية.

بدأ منسوب الأدرينالين لدي يرتفع، ماذا لو قفز فوقي قرد أو أفعى عملاقة! حاولت تبديد خوفي بإقناع نفسي بأن الحصان يدرك تمامًا ماذا يفعل خصوصًا أنه عربي أصيل، و ما أعرفه أن الجواد العربي لا يؤذي فارسه إذا سقط.

و لكي أبدّد خوفي كنت تارة أنشد أغنية استخرجتها من لا وعي للفنان الراحل فهد بلان «اركبنا على الحصان» التي لا أعرف منها سوى المقطع الأوّل، و تارة أخرى أتقمص دورًا هوليوديًا فأتخيل نفسي في مشهد لفيلم «وسترن»، و لكن ابتسامة المرشدين السياحيين كانت تثلج لهيب خوفي.

تخيّل نفسك وسط الأدغال على صهوة جواد لا أبواب و لا نوافذ بل وجهًا لوجه تقف مكشوفًا أمام الثور البري محاولاً ألا تثير إزعاجه و إلا نطحك! أما قطعان الحصان الوحشي و الغزلان على أنواعها و القردة فبدت لي مسالمة و لديها فضول للتعرّف إلى هؤلاء الغرباء الذين اقتحموا منطقتها.

ساعة و نصف الساعة و نحن نجول و نصول وسط الغابة العذراء حُبست خلالها الأنفاس و انفرجت مرّات عدة.

انتهت مغامرة الخيل وسط الغابة المتوحشة بسلام و أمان و عادت أنفاسي إلى طبيعتها، و لكن اللافت تمنيت لو أن في وسعي خوض التجربة مرّة ثانية في اليوم نفسه.

لا أعرف هل كان سحرًا أفريقيًا سقتني إياه الغابة أم أن السلوك الإنساني يميل دومًا نحو ما هو مجهول.

للأسف لم أستطع التقاط صور وسط العالم الدغلي، إذ لم أجرؤ على أن أطلب من أحد ذلك لأنني كنت مقتنعة بأن الكل كان مشدودًا إلى لحظة الخروج من الغابة.

Sweetwaters tented camp الموجود في المحمية حيث تناولنا غداءنا في أحد مطاعم الفندق المكوّن من خيام يبيت فيها النزلاء و يعيشون تجربة النوم وسط الأدغال.

النسر العربي الدولية © ٢٠١١

أثناء تناول الغداء في أحد المطاعم المشرفة على الغابة جاءت مجموعة من الزرافات لتشرب الماء من البحيرة الموجودة قبالة المجمّع، و اللافت أن زرافة واحدة كانت ترتوي من البحيرة و ظننا أنها شردت عن قطيعها و لكنها كانت تقوم باستطلاع المكان إلى أن جاءت «زميلاتها»، و يبدو أنها القائدة و بعثت بإشارة لها لتأتي و ترتوي من البحيرة، فسارعنا جميعًا لالتقاط الصور و كان يفصلنا عنها حاجز من الأسلاك، و هي بدت تتبختر بفخر و كأنها عارضة أزياء تعرف كيف تتمايل على منصة عرض مسرحها الطبيعي من دون أن تخشى المنافسة.

انتهت مغامرة السفاري الثانية و عدنا أدراجنا إلى الفندق بعدما بدأت خيوط الشمس تختفي في الأفق.

عند المساء كنا على موعد على العشاء في الحرج تلبية لدعوة رانا مدير الفندق.

في البداية ظننت أننا سنتناول العشاء في إحدى حدائق الفندق الغنّاء الممتدة على مساحة حوالى 40 كيلومترًا، و لكن كنت على خطأ فقد ركبنا سيارة رباعية الدفع أقلتنا إلى الحرج القريب من النهر الذي عبرته صباحًا.

و قد كانت مواقد النار مشتعلة و أظن أنّا لم نكن في حاجة إلى ما يدفئنا لأنه بمجرد أن تفكر أنك تتناول عشاءك وسط الأدغال و أنت أعزل ترتفع حرارتك.

و لكن ابتسامة الندل و شيف المطبخ و هدوء رانا أشعرانا بالطمأنينة، فهؤلاء الأشخاص يعرفون أن المكان آمن و لا يمكن لسكان الغابة مهاجمتنا.

و أقنعت نفسي كيف يهاجموننا و لديهم ما يكفيهم من طعام؟ فضلاً عن أن هذا النوع من العشاء من النشاطات التي يقدّمها الفندق للنزلاء الذي يرغبون في تمضية لحظات استثنائية مما يعني أنني لست الأولى التي تخوض هذا النوع من مغامرات العشاء.

أثناء تحلقنا حول النار أتت فرقة رقص شعبي ترحب بنا فدخلنا جميعًا عضوية هذه الفرقة و شاركنا في رقصها.

إلى مائدة الطعام أمطرنا رانا بسيل من الأسئلة الفضولية، فرانا شاب هندي عمل في حقل إدارة الفنادق في منطقة الخليج و قال إنه تردد في البداية في قبول العرض، خصوصًا أنه اعتاد على الرفاهية في البلاد التي كان يعمل فيها، إلى أن أتى و وجد نفسه وزوجته متعلّقين بكينيا و صار من الصعب عليهما مغادرتها، فالسنة مرت عليهما بسرعة، معلّقًا:«كل شيء هنا جميل.

يكفي أن تستيقظ صباحًا و تستمتع بالطبيعة من حولك و تشعر بالأمان و كأنك تعيش حلمًا تتمنى ألا ينتهي، و الطعام هنا عضوي إذ لا مبيدات تستعمل لرش المزروعات و الشعب طيب جدًا دائم الابتسام.

كلها عوامل جعلتني وزوجتي نقرر ألا نترك هذا البلد الجميل».

وافقنا جميعنا رانا الرأي لأن ما رأيناه بأم أعيننا و عشناه بكل حواسنا في الأيام الأولى جعلنا ننقض كل الأفكار المسبقة التي كانت لدينا.

انتهى العشاء و انتهت معه آخر أمسيات مكوثي في ماونت كينيا، فغدًا سوف أنتقل إلى نوع آخر من ترف الطبيعة الإفريقية و بذخها حيث أحلّق نحو ماساي مارا التي تحتفظ ببعض أسرار كينيا، فهل ستسلّمني مفاتيحها؟

النسر العربي الدولية © ٢٠١١